دراسة في رواية "سيمفونية الموتى" لعباس المعروفي (تمثلات الواقع أنموذجاً)

الباحث. عدي برسيم جداح **الدكتور يدالله ميلايري**

جامعة الاديان والمذاهب /كلية اللغات والثقافات الدولية / قسم اللغة العربية وآدابها

الملخص:

الواقعية هي أسلوب كتابة القصة الذي يصور الحياة بقدر الإمكان بنفس الطريقة التي تحدث في العالم الحقيقي، ويعني الإيمان بالواقع الموضوعي للعالم الخارجي، ويشير إلى تمثيل الواقع الذي يعيشه البشر في الزمان والمكان. الواقعية تقدم العالم كما هو وليس كما نريده. الرواية الواقعية هي أيضًا صورة للمجتمع بكل قبحه وجماله. في الشعر العربي المعاصر، الواقعية هي المدرسة التي تولي اهتماماً خاصاً للقضايا الاجتماعية الهامة والحيوية، وهي مهمة، وفي هذه الأثناء استخدم عباس المعروفي الكاتب الايراني المعاصر أسلوب الواقعية في رواية"سيمفونية الموتى" التي تتناول الموضوعات الاجتماعية ووقائع الحياة اليومية، وفي هذا السياق ننوي تحليل الرواية بمنهج وصفي تحليلي والاعتماد على الواقعية، ومن نتائج هذا البحث انعكاس المعضلات والقضايا الاجتماعية والاحداث المريرة مثل مثل الولادة والزواج والموت والحرب والصراع، والنهب، والقتل، والمجاعة، والانتحار، والفجوة الطبقية، والفقر، والتمييز، والعدالة، والاستغلال، والسمسرة، والقمار في هذه الرواية.

الكلمات المفتاحية: (الرواية، عباس المعروفي، تمثلات الواقع، سيمفونية الموتى).

مجلة معايير الجودة للدراسات و البحوث
Journal of Quality Standards for Studies and Research

المقدمة

الأدب في كل امة هو مرآة عاكسة الامة، بكل تفصيلات المظاهر الحياتية والتغيرات السياسية والاجتماعية التي تطرأ عليها، ناقلا اياها احيانا بشكل مباشر أو من خلال انعكاس تلك المظاهر أو متغيراتها على الاديب خاصة أو على المجتمع واعضائه بشكل عام، وما قيل سابقا ان الشعر ديوان العرب وهو السجل الحافل بأحداثهم ووقائعهم وتاريخهم، يصح الان ان نستعير هذا التوصيف لجنس الرواية التي يمكن ان نعدها هي الجنس الاقرب لتلك التفصيلات والمتغيرات السياسية والاجتماعية والفكرية التي تطرأ على الوسط الذي تنبثق منه، بفعل المساحة التي توفرها الرواية وتتيح من ثم الدخول في مفاصل الحياة والوسط الذي انبثقت منه، إذ ارتبط الفن السردي منذ نشأته الاولى بذلك الوسط منبعثا منه وناقلا عنه وهو ما دفع ارسطو لان يصف الادب بانه محاكاة للواقع، لكن لا نستطيع أن نقول انها محاكاة حرفية تنقل الواقع كما هو والا سنكون قد دخلنا في ميدان الوثائقية والتقريرية، انما هي محاكاة اعتمدت مبدأ الحذف والاختيار وفقا لرؤية المبدع وما يضفيه عليها من لغة فنية وخيال خصب ينسج تلك الصور الواقعية والمواقف والتفاصيل الصغيرة التي يقف عليها أو تستوقفه، من حيث المفردات، يأتي مصطلح الواقعية من جذر كلمة "res" تعني شيئًا؛ أي الشيئية.[١] من حيث المصطلح، يشير إلى مدرسة في الأدب "التي هي صورة لوقائع آفاق الحياة، وهي خارجية وخالية من المثالية والعقلية واللون الرومانسي.

هذا النهج هو عكس الرومانسية، ولكن مثل الطبيعية، فإن لم يحدث من فلسفة الجبر والشرط الغير اخلاقي تمامًا.[٢]

يستخدم مصطلح "الواقعية" في مناقشات الأدب الخيالي بالمعنى الخاص والعام. الواقعية بمعنى خاص هي حركة أدبية بدأت في نهاية النصف الأول من القرن التاسع عشرلكن الواقعية بالمعنى العام أسلوب أدبي لا يزال مستمرًا في القصص القصيرة والروايات المكتوبة في عصرنا. هذه المدرسة الأدبية مهمة لأن العديد من المدارس اللاحقة لم تكن قادرة على تقليل قيمتها ومصداقيتها، وقد تم وضع بناء كتابة الروايات الجديدة وأدب العالم اليوم عليها.[٣]

تؤسس الواقعية هيكل الرواية أو القصة القصيرة على قوانين الطبيعة والمجتمع يفحص الظواهر الروحية في ضوء السببية الاجتماعية حتى تجد جذر مصير الإنسان في الظروف البيئية والخصائص الفردية.

---

1. گرانت، *رئاليسم*: ص ٥٦

2. ثروت، «مكتب رئاليسم»: ص ٣٢

3. سيد حسينى، *مكتب هاى ادبى*: ص ٢٦٩

يرى المجتمع على أنه كائن حي ومتحرك وقبل أن يشرح الإنسان من وجهة نظر علم الأحياء، يتعامل مع دراسة الإنسان الاجتماعي والتاريخي في تحول شخصيات القصة وتطور القصص تغلق الطريق أمام العوامل العشوائيةوالأهم من ذلك، بدلاً من تصور البشر في حضيضه يجسده في القمة.[4]

أسئلة البحث

١. ما دور التمثلات الواقعية في رواية سيمفونية الموتى؟

١. ماذا تمثلت الرواية عند عباس معروفي؟

الدراسات السابقة

قد تطرق بعض الباحثين إلى تمثلات الواقع في بعض الروايات حيث كتبت أعمال أدبية في هذا المجال. أما بالنسبة لبحثنا هذا لم نعثر على بحث قد ناول موضوعنا فمن هذا المنطلق تعد دراستنا دراسة جديدة وفريدة ففيما يلي نشير إلى الدراسات التي ترتبط بموضوع تمثلات الواقع:

١-"تمثلات الربيع العربي في نماذج من الروائية العربية المعاصرة" للباحثة رشا عبدالفتاح مُحَّد جليس، سنة ٢٠١٨م، عمان، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية؛ سعت هذه الدراسة للبحث في انعكاسات واقع بعض الثورات العربية (المصرية- الليبية – السورية) وتتبع مظاهرها وتجلياتها الأيديولوجية في الروائية، وربط مميزاتها من خلال التحليل النقدى لأربع روايات عربية معاصرة تتناول جوانب الثورة من ناحية التعبئة الشعوبية والإعلام وسرعتها ونتائجها.

٢. اثر استخدام اسلوب عرض رواية (الحرف القرمزي) طريقة تدريسية على تحصيل المتعلمين العراقيين اللغة الانكليزية، اسم المؤلف: مصلح الدين نصيف سعود علي الغراوي، السنة: ٢٠٠٨، الدرجة: ماجستير، الجامعة: جامعة ديالى - كلية التربية للعلوم الانسانية. وقد دفعني الى هذا البحث في معرفة مدى تأثير البلاغة المعاصرة منهجا تحليليا كاشفاً عن ما يتضمنه الخطاب الروائي قدرة تعبيرية عن التصورات الاستعارية أي ما يحمله ذهن الروائي. تصورات استعارية قادته الى التعبير عنها بصياغات لغوية. استعارية واكتشاف مدى تأثير هذه الآلية في فهم العالم الروائي لا يفوتنا الاعتراف بالمصاعد

[4]. پرهام، *رئاليسم وضدرئاليسم در ادبيات*: ص ٥٥

واجهتنا، وأولها حداثة الموضوع وما يشكل من متابعة جا ادره، فضلاً عن قلة الدراسات التي تخص البلاغة السردية وبالخص التي تربط بين الاستعارة والرواية).

٣. تمثلات الواقع ومشاكله في الرواية" للدكتور أريج كنعان حمودي، سنة: ٢٠١٦، بغداد، كلية الآداب؛ بدأت الدراسة بالوقوف على ماهية المذهب الواقعي وعلاقة الادب عامة والرواية بشكل خاص بهذا المذهب وصولا الى المنهج الاجتماعي وماهية سوسيولوجيا الادب وعلاقة هذا المنهج بالواقعية واستناد النقاد والدارسين الى فرضيات هذا المنهج في نقد النصوص السردية واستخلاص الملامح الاجتماعية والصراعات الطبقية والدوافع الاجتماعية والبيئية التي تقف وراءها، وهذه المقدمة يمكن ان تشكل الجزء الاول من البحث، اما الجزء الثاني منه فقد حدد للوقوف على اهم المشاكل والظواهر الاجتماعية ودوافعها المستخلصة من النصوص الروائية التي اتخذت نماذج عملية للدراسة والبحث.

٤. "تمثلات الواقع في الرواية السودانية" للطالبة خيرة عسلي، سنة: ٢٠١٥، كلية الآداب واللغات، جامعة المسيلة؛ تطرقت هذه الباحثة حول جماليات الرواية السودانية ومدى تحقيقها على تشخيص العوامل الخفية والجلية الفاعلة في مختلف أشكال الصراعات الاجتماعية التي تؤدي إلى التطور أو الجمود. وبذلك حققت وأفسحت لها مكانا في دوائر النشر فاحتلت بذلك مكانتها في خارطة الإبداع السوداني والعربي.

عباس معروفي حياته ومؤلفاته

ولد سنة ١٩٥٧م. درس وتخرج من كلية الفنون الجميلة بطهران وتخصص في الفنون الدرامية درس الأدب في المدارس الثانوية بطهران لمدة ١١ سنة وشرع في أنشطته الأدبية تحت إشراف الشاعر المعاصر هوشنج جلشيري. ويعمل في الوقت الراهن كاتباً وناشراً ويقيم في ألمانيا.

أول أثر نشره عباس معروفي مجموعته القصصية «مقابل «الشمس» وكان ذلك سنة ١٩٨٠م. وبصدور رائعته «سيمفونية «الموتى سيخلّد اسمه ضمن الرواد في العام ٢٠٠١ فاز بجائزة «مؤسسة المنشورات الفلسفية الأدبية سور كامب»، وفي العام ٢٠٠٢ حصل على جائزة «المؤسسة الأدبية آرنولد تسوايك».

يعتبر النقاد. هذه الرواية واحدة من أفضل عشر روايات في تاريخ الرواية الإيرانية. بل صنفت على أنها النسخة الإيرانية لرواية «الصحب والعنف» لفوكنر. فسيمفونية الموتى هى التوثيق العميق لمعاناة المثقف الإيراني في مرحلة حساسة من تاريخ البلاد تمتد من قبل الحرب العالمية الثانية إلى الأعوام التي تلتها.

في الوقت الذي كان آيدين» شاعر شاب يصطدم بهيمنة الأب التقليدي الذي يحاول أن يفرض عليه نمط حياة متقاطع تماماً مع تطلعات الشاعر) يخطط فيه لاستثمار المال الذي ادخره على مدار العامين الأخيرين، في السفر لطهران لاستكمال تحصيله الدراسي، يصدم بما قرأه في الصحيفة: خبر موت شقيقته «آيدا» متأثرة بالجروح البليغة التي أصابتها اثر انتحارها حرقا بعد عام من الحادثة يموت الأب إثر نوبة قلبية، لكنه يوصي أن توزع جميع ثروته مناصفة بين آيدين وشقيقه أورهان، وهو ما سيجعل الصراع بين الشقيقين يبلغ ذروته، فمن أجل أن يستولي أورهان على الثروة يدس السم في طعام آيدين ويصيبه جراء ذلك بالجنون. ولكن هل حقاً أن لآيدين بنت اسمها الميرا تبلغ من العمر خمس عشرة سنة؟. وهل بذلك يكون نسل أورخاني قد امتد إلى فتاة بعيدة وغريبة وشقراء تدعى الميرا، في حين أن أورهان نفسه عقيم لا يريد ولا يقبل بأن ينتقل ميراث الأب إلى فتاة لا يُعرف من أين جاءت.[٥]

تعريف الرواية

الرواية أكثر مجالا بين الفنون الأدبية من جهة العمق والاتساع؛ لأنّ أساسها الفنى يشتمل على أساليب التعبير الشعرية والقصصية والدرامية ويضيف إليها تصوير المجتمع والتعبير عن ضمير الإنسان وأشواق ومصير واستيعاب التاريخ واستخدام ولم تعد الرواية فنا يقصد به تزجية الفراغ أو مجردا لمتعة والسمر لطرد الملل وجلب المسرة للنفس وقد تطوّرت الرواية من وسيلة للتفريح والتسلية وحكايات المغامرة إلى أداة فنية لصحوة المشاعر الإنسانيّة واتخذت منبرا للتعبير عن الاتجاهات الاجتماعية والمذاهب السياسية والفلسفية والدينية لسعة انتشارها وقوة تأثيرها.[٦]

مصدر رواية من رَوَى يَرْوِي، يراد بها حمل الحديث، ونقله جاء في لسان العرب عن الرواية أنه يقال روَّى فلان لفلان شعراً بمعنى قاله له حتى أتم حفظه ليتمكن من الرواية عنه، جاء في المصباح المنير أن رويت الحديث يعني حملته ونقلته.[٧]

هي سلسلة من الأحداث تُسرد بسرد نثري طويل يصف شخصيات خيالية أو واقعية وأحداثاً على شكل قصة متسلسلة، كما أنها أكبر الأجناس القصصية من حيث الحجم وتعدد الشخصيات وتنوع الأحداث، وقد ظهرت في أوروبا بوصفها جنساً

---

5. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٣٨٣

6. زغلول، *المسرح والمجتمع في مائة عام*: ص ٤

7. ابن منظور، *لسان العرب*: ص ١٥

أدبياً مؤثراً في القرن الثامن عشر، والرواية حكاية تعتمد السرد بما فيه من وصف وحوار وصراع بين الشخصيات وما ينطوي عليه ذلك من تأزم وجدل وتغذية الأحداث.

الواقعية:

تعبر الواقعية عن اهتمام أساسي ورغبة تجاه الموضوع والموضوع خارج العقل، لذلك يتعامل معظم الشعراء والكتاب مع الواقع بطريقة ما، ويخصص جزء كبير من أدب العالم للأعمال الواقعية، وهذا ما يفعله هـ. أطلق عليه الميل المتعمد للفن لتقريب الواقع.[٨] وفقًا للمبادئ الفكرية لهذه المدرسة، يختار الكاتب بحيادية موضوعًا من الحياة الواقعية للأشخاص والأفراد من بين المهنيين والعمال والفقراء والمضطهدين من حوله ويروي قصتهم بموضوعية.. في هذه الرواية تأخذ القصة والأحداث مجراها الطبيعي دون تدخل المؤلف، ومسار أحداث القصة هو الذي يرسم قلم الكاتب. وفقًا لرأي الكتاب الواقعيين، فإن الحقائق ليست في أنفاس الأحداث، ولكن في المخيلة (كاتب)؛ هذا هو السبب في أن الكتاب الذين يتبعون هذا الموقف محايدون من وجهة نظر غير شخصية وموضوعية.[٩] موضوعية الكاتب الواقعي تملي عليه تجنب إقحام مشاعره الشخصية. وبعبارة أخرى، فإن الشبكة الواقعية تشبه المرآة الشفافة التي تعكس الحقائق ببساطة؛ لكن لا ينبغي للمؤلف أن يجعل الحقائق تبدو أجمل أو أقبح مما هي عليه في عملية هذا العمل. يعبر عن آرائه الاجتماعية والسياسية بشكل مباشر وعلني.[١٠] الواقعية هي مدرسة موضوعية أو "خارجية" والمؤلف الواقعي يكون أكثر من متفرج عند إنشاء عمل ولا يُظهر أفكاره ومشاعره في القصة. لإنتاج ما هو الواقع الذي يظهر، من أجل لهذا الغرض، يلجأ إلى الفن غير الشخصي الذي يُستبعد منه المؤلف.[١١] يحاول الكاتب الواقعي نقل التجربة الحقيقية للقارئ، ولهذا الغرض يصف تفاصيل الأشخاص والسلوكيات، على الرغم من أن الكتاب الواقعيين يتفقون عمومًا مع بعضهم البعض على كيفية استخدام هذه الحقيقة. تختلف بصريا عن بعضها البعض؛ إذاً في فرنسا بين الواقعية، فلوبير بلزاك وموباسان، أو في أمريكا بين شيروود أندرسون وجون شتاين، هناك اختلافات واضحة. نظرًا لأن مجال تأثير الواقعية كان من بداية الأدب

---

8. كادن، الواقع الفلسفي: ص ٣٦٣

9. داد، *معجم الاصطلاحات الادبية*: ص ٢٥٧

10. پاينده، *طلوع رمان*: ص ٧١

11. سيد حسيني، *مكاتب الادبية*: ص ٢٨٧

الخيالي، تعتبر هذه المدرسة أيضًا رائدة في كتابة الروايات.[١٢] تؤكد الواقعية الموضوعية، وصورة "التفاصيل والملاحظة المحايدة هي مطلب من موضوعية الواقعية. تتأثر صورة التفاصيل في الأعمال الواقعية بالتغير في الموقف الفلسفي حول العموميات والخصوصيات. تفضيل العموميات وسيطرت المعرفة التي ينتمون إليها على التفكير الفلسفي، وبالتالي على الأدب لعدة قرون.[١٣] الواقعية التي بدأت طريقها من الحياة اليومية للشعب، في القرن الثامن عشر عشية الثورة الفرنسية، تحولت إلى تجسيد للحياة الاجتماعية التي تكشف مبادئها الأساسية عن الجديد. الواقع، اختراق الجوانب المختلفة والبحث حول هذه الجوانب كان نقدًا لا هوادة فيه لمبادئ الإقطاع وأخلاقه ولم يتوقف عن انتقاد الجوانب السلبية للمجتمع البرجوازي المتطور[١٤] الكاتب الواقعي في عدم تكوينه صورة هو أمر مذهل بسبب تشابهها مع تصورنا للحياة. يخلق المؤلف صورة دقيقة وعميقة ويظهر للقارئ الدوافع المختلفة التي هي مصدر حركات الشخصيات وحركاتها بحيل نفسية مقنعة.[١٥]

من سمات الواقعية أنها تؤسس عملها على الخصائص والنتائج الاجتماعية للأحداث اليومية وخصائص الأشخاص الذين يواجهون هذه الأحداث، والفن الواقعي الذي يتعامل مع القضايا الرئيسية للحياة وسلامة الضمير الإنساني هو الجذر. من كل الأشياء التي غالبًا ما تكمن تحت طبقات الحياة اليومية.[١٦]

ليس في الكاتب الواقعي أنه بعد تقديم الحقائق بأمانة لدمجها مع قيمه ومعتقداته العقلية، يتجنب الفنان بشكل عام والكاتب الواقعي بشكل خاص وضع النوايا الخاصة على الواقع. يعتقد الكاتب الواقعي أن كل ما هو جدير بالواقع، وليس بالقوالب التي لدينا. لقد جعلناها حقيقة واقعة.[١٧]في الأساس، الكاتب الواقعي هو الشخص الذي، من خلال إبعاد نفسه وعدم التورط في التيارات الاجتماعية، كقاضي على الأحداث التي وقعت، يحكم وفقًا لكلمات فلوبير،

---

12. داد، *طلوع الرواية*: ص ٢٥٧

13. صادقي، *رئاليسم ومعيارهای آن*: ص ٤٧

14. ساچكوف، *تاريخ رئاليسم، پژوهشی در ادبيات رئاليستی از رنسانس تا امروز*: ص ٣٥

15. تقوى، *الصورة الواقعية*: صص ١٠٢-١٠٠

16. پرهام، *رئاليسم في الادب*: صص ٥٢-٤٥

17. پرهام، *رئاليسم في الادب*: صص ٥٤-٥٥

الرجل عندما يختلط مع. الحياة. لا يراها بالشكل الذي ينبغي أن تكون عليه، هذا شرط أساسي يجب على الكاتب أن يتحلّى به بشجاعة وبدون حب وكراهية كل شيء حوله. يرى نفسه أن يكتب بصراحة.[١٨]

يتجنب الروائي الواقعي التظاهر بالحضور في العمل، ويتجنب الأسرار العاطفية وينسج الفلسفة. لم يعد له الحق في خلط صوته بصوت شخصياته والحكم عليهم أو التنبؤ بمصيرهم. لكن من الواضح أن المؤلف لا يستطيع إخفاء وجوده بشكل كامل في العمل. على الرغم من أنه يتحدث عن أفكاره من خلال كلمات الأبطال ويجسدها في إنشاء المشاهد، فلا شك أن هذه الأفكار هي أفكاره.[١٩]

ملخص رواية «سيمفونية الموتى»

كتاب "سمفونية الموتى" يدور حول عائلة مكونة من ٦ أفراد يعيشون في أردبيل، وتدور القصة كاملة في هذه المدينة، جابر أورخاني هو بازار ثري صارم ومتعصب للغاية وله ثلاثة أبناء وبنت واحدة. فكر ابنه الأكبر، واسمه يوسف، بالطيران خلال الحرب العالمية الثانية ورمي بنفسه من السطح وأصيب بالشلل. بعد يوسف، كان أمل الأب في أيدين هو الطفل الثاني للعائلة، ولكن أيدين شخص مثقف. يقرأ الكتب ليلاً وأحياناً يكتب الشعر ويهتم بمواصلة تعليمه ولا يريد أن يواصل عمل والده، لكن والده يقف في طريقه دائماً ويمارس عليه الضغط حتى يضطر أيدين لمغادرة المنزل. وهناك شخصية أخرى هي أيدين، مثل جميع النساء في تلك الحقبة، على الهامش ولا يمكن رؤيتها. في سن السابعة عشر تزوج وذهب إلى عبدان، ولكن بعد سنوات قليلة انتشر خبر التضحية بالنفس في الصحف. أورهان، آخر أبناء الأسرة، تأقلم مع ظلام وبرودة العصر، واتبع طرق أبيه، وبسبب الجشع والجشع المفرط، يريد أن يكون الوريث الوحيد لوالده، لذلك بعد بعد وفاة والديه، قرر قتل يوسف ودفع أيدين للجنون.

تبدو سيمفونية الموتى وكأنها رواية عادية، لكن بداخلها تصور حياة كل واحد منا مع القليل من التغيير. يخبرنا أن نعتني بالذات الداخلية وما حولها، فالفنان الذي يقرأ الكتب دائمًا، لا يقبل اختناق المجتمع ويريد أن يجد نفسه. هذه الأسرة التي تعيش في أردبيل خلال الحرب العالمية الثانية هي عائلة رمزا لاختناق المجتمع، تلك هي الأوقات التي نادرا ما يوجد فيها المثقفون.

---

18. نوري، *دائرة المعارف*: صص ١٨٦-٢٤٠

19. سيد حسيني، *مكاتب الادبية*: ص ٢٨٧

يعد هذا الكتاب من الأعمال المتميزة لعباس معروفي ومن أكثر كتب الأدب الإيراني ثباتًا والذي نال جائزة مؤسسة سوركامب للنشر الأدبي الفلسفي عام ٢٠٠١. أيضًا، تم الإشادة بسمفونية الموتى في الأسبوعية السويسرية، وقد أطلق عليها اسم تحفة فنية.

سيمفونية الموتى هو كتاب مأساوي وحزين يتم سرده بشكل جميل للغاية ويظل تأثيره في ذهن القارئ لفترة طويلة. نوع الكتاب السردي فريد من نوعه. يتغير الراوي عدة مرات خلال القصة وفي كل مرة تكون القصة من منظور شخصي، يتم التعبير عنه بشكل مختلف أن تكون جو القصة يتغير باستمرار والمؤلف يأخذ من الماضي إلى المستقبل.

في كتاب سيمفونية الموتى قصص مختلفة مثل قتل الأخوة، انهيار الأسرة، الحب الديني، إلخ، يتم سردها بطريقة جميلة للغاية، ويقال إن هذا الكتاب بيع منه أكثر من نصف مليون نسخة حتى الآن وتم نشره بلغات مختلفة مثل الألمانية والإنجليزية والتركية.[٢٠]

بعد قراءة رواية "سمفونية الموتي"، لاحظت بوضوح أن عباس المعروفي وصفا التفاصيل بشكل جيد. نشير إلى مثال على هذا الوصف التفصيلي أدناه:

وصف اللحظات

في هذا القسم يصف مؤلف رواية "سيمفونية الموتى" بالتفصيل اللحظات التي طبخت فيها آيدين طعام دوله، كما تحدث عن رحلته إلى أستارا ومشاهدة غاباتها الكثيفة وأشجار التوت والمنازل الجميلة هناك:

«ذات يوم حينما عدتُ مع آيدين من الخان طبخت لنا دله سهيه. أكلنا، ثمّ تحدّثت عن سفري إلى مدينة آستارا، وقلتُ من الأفضل أن نذهب أنا وآيدين ذات مرة لمشاهدة الغابات الكثيفة، حيث أعناق أجمات أشجار توت العليق تشرئب فوق الأبواب والمنازل المطلّة على الطريق، وزيد البحر يتراءى، وهناك فتاة تبلغ تسعين ربيعاً ستتزوج آيدين بعد أن تُقوّم أخلاقه، بعدها غلب النعاس، آيدين فاستلقى فاقداً وعيه، ساعدتني أمي في حمله إلى غرفة في القبو».[٢١]

وصف عباس معروفي الأماكن والمشاهد المتعلقة بقصصه بطريقة مناسبة ونذكر أدناه مثالاً لها:

---

20. ملخص من كتاب معروفي، *سيمفونية الموتى*

21. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٢٤

وصف الاماكن والمشاهد

في رواية "سيمفونية الموتى" يصف المؤلف التفاصيل بشكل جيد. إحدى هذه الحالات هي عندما يخرج بعض الدخان من سطح متجر خان، تاجر الجوز، ويقوم خان بتصوير هذا المشهد من مسافة بعيدة.

أياز يجلس على الأرائك الكبيرة للمحل ويضع قدميه على الكرسي الصغير ويجفف العرق على جبهته في الصيف والشتاء هي التفاصيل التي يصفها المؤلف جيدًا:

«كان ثمة دخان لطيف يتدافع من تحت الأسقف المقبّبة لأروقة خان تجار المكسرات، وينبعث خارجاً من فوهته الأمامية أسفل الخان، انشغل بضعة حمالين بإحراق الخشب داخل برميل. وكانوا، أحياناً، لما يجرؤون على إخراج أيديهم من تحت البطانية، يكسرون حبات البزر خلفهم، في مكان يشبه متاهة، انهمك ثلاثة أشخاص في قلي البزر في صفائح نحاسية كبيرة. كان الدخان يختلط بالبخار، فيتساقط الثلج بكثافة.

كانت الفوانيس جميعها متقدة، بما في ذلك القناديل النفطية، وكان الخان يبدو من بعيد أشبه ما يكون بقرية غارقة في الضباب في الناحية اليمنى من الدهليز في دكان "معتبر" للمكسرات، جلس إلى الطاولة رجلان يستأنسان بدفء القنديل النفطي الموضوع عليها؛ "أورهان أورخاني". وإلى جانبه "إياز الضابط".

كان إياز الضابط يقصد الدكان كل خميس ويجلس على أريكة كبيرة، يضع رجليه على كرسي صغير، ويُجفّف عَرَقَ جبينه باستمرار، صيفاً وشتاء، وحين لا يعثر على كرسي كبير في المتناول يجلس على كيس البزر، ويقول: "كيف لي أن أجلس على كرسي صغير بهذا الهيكل الضخم، آ؟!".

كان بمقدوره، لو أراد أن يرفع الأب، بكل أبهته وعَظَمَته، بأصبعين اثنين، ويُعلقه في كلاليب السقف كان ذا وجه مكتنز وضخم ورأس صغير[٢٢] وعلى خده الأيسر نَدبة انكمشت الآن كسائر وجهه. كان يشتري مقداراً من الفستق، ورغم إلحاحهم عليه بألا يدفع ثمنه ما كان ينقاد. يستخرج نوى الفستق، ويصفّفها فوق الطاولة جنباً إلى جنب، ثمّ يُفرغها، دفعة واحدة، داخل بلعومه آنئذ كان يتوجب على أورهان أن يُحضر له كوب ماء بارداً».[٢٣]

22. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٩

23. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٠

يصف هذا الجزء مشاهد الشوارع الضيقة حيث غطى الثلج مدخل المنزل. هل هذا الثلج الشديد عقاب من الله؟ لأن هذا الثلج الكثيف لم يسبق له مثيل:

«أما في الأزقة الضيقة، فقد غطى الثلج حتى مداخل البيوت وأبوابها، فحفر الناس من الأسفل أنفاقاً، يعبرون من القنوات المتصلة بكل أريحية وراحة بال. هل كان بلاءً نزل علينا؟ ربما. لقد توالت مواسم شتاء كثيرة وولت، وتساقطت الكثير من الثلوج، لكن لا أحد يتذكر مثل هذا الثلج. أما الغربان، فقد فتحت المدينة، واحتل كل شجرة عدد منها».[٢٤]

وصف فنية الزمان

"الزمن تحديدا كل "مرحلة تمضي لحدث سابق إلى حدث لاحق"بينما الزمن في تمثل أندري لالاند "متصور على أنه ضرب من الخيط المتحرك الذي يجر الأحداث على م أرى من ملاحظ هو أبدا في مواجهة الحاضر.[٢٥] "

أما الزمن في النص السردي يعتبر من أهم العناصر التي تجمع بين كل الأشكال الفنية في الرواية، فيستحيل وجود عمل روائي دون عنصر الزمن.

يعد الزمن عنصراً مهما من عناصر النص السردي، لأنه الرابط الحقيقي للأحداث والشخصيات والأمكنة... " وإذا اعتبرنا الفنون والرواية من أكثر الفنون الأدبية التصاقا بالزمن، التشكيلية فنونا مكانية، فإن الرواية تعد فنا زمانيا أو عملا لغويا يجري ويمتد داخل الزمن. "[٢٦]

والزمن الروائي يتجلى في عناصر الرواية كافة، وتظهر آثاره واضحة على ملامح الشخصيات وطبائعها وسلوكها، فالشخصيات مرتبطة دائما بالأحداث، والاحداث تسير وفق زمن معين في مكان ما، وهكذا فإن الزمن يؤثرفي الشخصية كما تتأثربه "نسج ينشأ عنه سحر، ينشأ عنه عالم، ينشأ عنه جمالية سحرية، أو سحرية جمالية... فهو لجة الحدث، وملح السرد، وصنو الخبر، وقوام الشخصية.[٢٧]

---

24. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٢

25. مرتاض، *في نظرية الرواية*: ص ١٧٢

26. رواينية، *الفضاء الروائي في رواية الجازية والد ارويش لعبد الحميد بن هدوقة في المبنى والمعنى*: ص ٢٤

27. مرتاض، *في نظرية الرواية*: ص ١٧٨

والإبداع الفني الذي يثير في القارئ حالات شعورية، لا يقف عند حد الإثارة بقدر ما يدخل القارئ إلى عالم الرواية وتطلعاتهاو أزمنتها فتحدث نوعا من الانسجام عبر أزمنة الشخصيات وذكرياتها وأحلامها وآمالها، فالزمن إذن هو مظهر نفسي وانفعالي يثيرردود فعل لدى المتلقي، وهذا ما يسعى إليه الكاتب.

مخالفة الزمن

"مخالفة الزمن هي غياب المطابقة بين ترتيب الأحداث في السرد وترتيبها في الحكاية، والمخالفة تفترض، ضمنا على الأقل، وجود حالة من المطابقة التامة بين هذين الترتيبين، وهي الحال التي تكون عليها الحكاية قبل أن تمتد إليها يد الكاتب الفنان، والمخالفة الزمنية نوعان: الاستباق والاسترجاع. "[٢٨]

فغالبا ما يعود بنا السارد الروائي إلى الوراء ليضيء لنا جانبان من حياة الشخصيات، فيعرفنا على ماضيها في زمن ما، وهذا ما فعله "أمير تاج السر" في روايته "العطر الفرنسي" عندما أبحر بنا في العوالم الفكرية لشخصيات الرواية وأبعادها الاجتماعية والنفسية، عن طريق تقنية الاسترجاع أو الاستذكار.

٤-٩. الاسترجاع: (الاستذكار)

"الاستذكار يعتبر تقنية زمنية، وقد سيق هذا المصطلح من معظم المخرجين السينمائيين، يستطيع السارد من خلاله الرجوع بالذاكرة إلى الوراء سواء في الماضي القريب أو الماضي البعيد. "[٢٩]

"الاسترجاع: مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الاروي إلى حدث سابق وهو عكس الاستباق، وهذه المخالفة لخط الزمن تولد داخل الرواية نوعا من الحكاية الثانوية، ولا شيء يمنع أن تتضمن الحكاية الثانوية بدورها استرجاعا، أي حكاية فرعية داخل الحكاية الثانوية موضوعيا يمكن أن يكون الاسترجاع مؤكدا أو ذاتيا غيرمؤكد.[٣٠]

في رواية "سيمفونية الموتى" حاول المؤلف إعطاء أهمية لوقت الأحداث باستخدام عبارة "وفي الوقت المحدد من الساعة الثانية":

«بعد مرور لحظات، وبالضبط على الساعة الثانية زوالاً، لم يستطع أورهان، جرياً على العادة تقييد حساب الدفتر اليومي في السجل العام، رغم أنه كان يريد إقفال الحساب. عد نقود الدخل، وباله مضطرب مُشوَّش، ثمّ أودعَهَا جيب

28. زيتوني، *معجم مصطلحات نقد الرواية*: ص ١٤٥

29. مرتاض، *تحليل الخطاب السردي*: ص ٢١٧

30. زيتوني، *معجم مصطلحات نقد الرواية*: ص ١٨

سرواله. وضع الدفاتر في إطار المعداد، ونسي إدخالها في درج الطاولة، وإقفال بابها. بيد أنه ما كان ينسى قبعته، كانت لا تفارق رأسه صيفاً وشتاءً في أثناء العمل يضعها على الطاولة، ويأخذها عند الانصراف ثبَّتَهَا على رأسه، ثمّ أقفل أزرار المعطف جال بناظريه في الدكان، ومن دون أن يُلزم العمّال بشيء، قال: "أنتُم طلقاء".»[٣١]

في العبارات التالية، أعطى المؤلف جاذبية خاصة لرواية "سيمفونية الموتى" باستخدام (الشمس والليل) لأن الشخصيات والأحداث الرواية مرتبطة دائمًا بالزمن:

«قلت: "انظر إلى الشمس تغرب، يجب أن نرجع قبل حلول الليل"، حينئذ تذكرتُ تلك السنوات لما كان الوالد على قيد الحياة، وكنا نغطس في الماء غير آبهين، ولا مكترثين فيقول: آيدين: "انظر أورهان، لا حيوان ولا حشرة، هذا الماء يلفظ كل شيء غريب انظر هناك، كل ما يطفو على الماء من أوراق وعظام تُخرجه هذه الأمواج الصغيرة". كان يطفو على الماء وهو يتحدّث، وشعره الأسود الناصع منسدل على جبهته مع كل موجة كان يبتعد مائة متر، ويرجع كان الماء مالحاً وماً، وكنا نبصقه باستمرار.

قلت: "أنا بردت، انظر إلى الشمس، وأردتُ العودة إلى البيت، لكنه أبى».[٣٢]

وصف الخصائص الخارجية للشخصيات

في وصف التفاصيل الخارجية، من السمات الواقعية لرواية "سمفونية الموتى" أن المؤلف يصف بشكل موضوعي السلوك المحدد والخصائص الخارجية للشخصيات، وهذا يجعل الشخصيات تبقى في عقل القارئ والقارئ يتواصل معهم وبهذه الطريقة يكون أقرب وأكثر حميمية مع الشخصيات والتعرف عليها بشكل كامل. يمكن رؤية الوصف التفصيلي للشخصيات، خاصة من حيث المظهر، في كل مكان في هذه الرواية.

في رواية "سيمفونية الموتى" تشير تعبيرات "رجل الثلج الضخم" و"العجوز النحيفة" و"المرأة التي تشبه قمة جبل دماوند" جميعها إلى خصائص المظهر للشخصيات المستخدمة في هذه الرواية:

«نظر إلى الناس كان الجميع منشغلاً بحاله؛ عجوز نحيفة تهم بعبور الطريق، لكنها تعجز وشاب منشغل بوضع عينين من فحم لرجل ثلجي ضخم، ومجموعة شدّت رؤوسها بأكياس بلاستيكية، وامرأة متلفعة بشادور أسود، تشبه قمة جبل

31. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٥

32. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٤٨

دماوند من كثافة الثلج الذي تساقط على رأسها. أكيد أنها قدمت من إحدى القرى المجاورة. وأورهان مستمر في سيره تجذبه قوة إلى خارج المدينة صوب مقهى شورابي، يحث الخطو متثاقلاً غارقاً في ذاته، وكأنه رجل عاطل يتمشى على الثلج لإذابة شحم بدنه.

لم أستطع تمالك نفسي، ولم أرد، كما العادة أكتم آلامي في قلبي فصحت "أيها المعتوه، أنا أفنيتُ روحي في هذه الخربة اثنتا عشرة سنة ماذا تفهم أنتَ؟»[٣٣]

وصف الميزات

في رواية "سيمفونية الموتى"، تصف الجمل التالية صفات والده الذي استولى على كيانه الحزن والانزعاج والاكتئاب بالكامل وفصل نفسه عن السعادة والسلام، كالخشب الذي ينكسر بسهولة بعد الاحتراق:

«رجعنا وأبي يعلوه الغضب والقهر والوقار، منذ ذاك اليوم، بدأ يذكر اسم آيدين على نحو خاص. ربما بقي يعمل هناك لسنة. كانت أمي تسأل عن أحواله، وأزوره أنا بين الحين والآخر، بيد أنه ما كان يقبل شيئاً؛ تأخذ له الطعام والملابس، فيرجعهما، نعطيه الكتب، فيرفضها. حتّى أمي كان يعرض عنها. وحين كنا نُصرّ، ينفجر: "ملفي الدراسي، كتبي أشعاري... " ثم ينتحب بكاء.

شيئاً فشيئاً، انفصل عن وجوده السرور والطبع المرح، وكأنه هو من احترق. ساء مزاجه وتفاقم وضعه رأيتُ بعيني حذاءه الأسود ممزقاً من طَرَفَيْه. يرتدي نفس المعطف والسروال القماشي الأسود، ويضع رجلاً على قطعة خشب ينشرها ينشر وينشر حتى يتصاعد الدخان من الخشبة وتنفصل. يُجفّف عرق جبينه بمنديل، ثمّ ينقض على خشبة أخرى. كنتُ أنتظره حتى يكمل عمله، فنتطلق معاً ناحية شورابي. يمشي بصعوبة بحذائه الأسود الممزق. قلتُ له: "ألا تأخذ أجراً؟" ارتبك، وظن أنني أريد أن أقترض منه، فقال: "لديّ، أتريد؟" وهمّ بدسّ يده في الجيب، وإخراج نقوده. فقلتُ له: "لماذا لا تشتري حذاء القَدَمَيْكَ؟»[٣٤]

التعبير عن الأفكار والمعتقدات

[33] معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٢٨

[34] معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٦٢

ومن الموضوعات التي تناولها عباس المعروفي في رواية "سمفونية الموتى" أفكار وآراء الشخصية الحاضرة في الرواية. الأحداث التي حدثت لأحد الشخصيات في القصة والتي يعتقد أنها أحلام ورؤى، لكنه أدرك فيما بعد أن هذه كلها حقيقية، وفهم الحقائق هو الحل الوحيد المتبقي له. لقد صور المؤلف بشكل جميل هذه الأفكار والمعتقدات.

في رواية "سيمفونية الموتى"، صور المؤلف بشكل جميل بعض الإهانات من قبل شخصيات الرواية، على سبيل المثال "ابن الحمار" في العبارات التالية:

بضعة أيام بعد ذلك، صنع بواسطة خشبة وخصلة خشبية وسلك وعدد من أقلام حبر يوسف، سيّارة لا تُصدر صوتا، ولا تتحرك عجلاتها. ثم عاد ثانية إلى سيّارة أورهان، وفككها قطعة قطعة، وركبها من جديد ولم يفهم شيئاً أيضاً. بعد خمس سنوات، أكمل تصميمها: جلب قطع حديد، وقطعة خشب، وعلبة، وأشياء أخرى جمعها من مصنع اللورد للمراوح، وصنع سيارة شبيهة بتلك التي يملكها أورهان تُصدر صوتاً وتتحرك، وتضيء، مصابيحها الأمامية، لكن ذلك كان على حساب سيارة أورهان التي خرّبها.

قال له الوالد: "يا ابن الحمار! ألم أشتر لك مجهراً؟ ما شأنك بسيارة أورهان؟"

لم يكن الأب يعرف كيف يبدي سروره. يذهب بلا وجهة من الطابق السفلي إلى العلوي، إلى نهاية الممرّ وغرفة الضيافة والغرفة الأخرى. ثم يفتح، غير واع، النافذة، ويشرع في الحديث إلى الجيران من أعلى والاستفسار عن أحوالهم. ثم يعود إلى الغرفة السفلية ويخاطب الأم: "إذا كانت للأولاد كفاءة فباستطاعتهم لاحقاً، شراء الدكان الكائن بركن الخان حتى إذا جعلناهما واحداً... ". لكن، لا أحد كان يصغي لكلامه.[٣٥]

الولادة والشيخوخة والوفاة والزواج والطلاق

تشير بعض أجزاء رواية "سيمفونية الموبي" إلى زواج بعض الشخصيات في الرواية. على سبيل المثال، تعد "آيدا" نفسها للزواج من "آباداني" من خلال خياطة فستان أبيض. أعطى المؤلف من خلال ذكر القضايا المتعلقة بالزواج، مزاجًا خاصًا لهذه القصة:

35. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٩٠

«كانت آيدا منكبة بشوق جارف على خياطة ملابس عرسها فستان أبيض طويل، أضافت على أكمامه وخصره وياقته انكماشات صغيرة، كي يُخفي نحافتها، وتبدو متناسبة مع آباداني كانت التصاميم من إنجاز أخوات أنو شيروان آباداني الثلاث، وأيدا كانت تتولى الخياطة بمساعدة بعض فتيات الجيران وزميلات الخياطة.

أما أورهان وأمه، فقد نقلا يُوسُف بجهد جهيد إلى الغرفة الصغيرة بالطابق السفلي، ونظفا الغرفة الكبيرة؛ فتحا نوافذها للتهوية، وأننا أركانها جميعها بالكراسي الخشبية المكتراة، فيما قضى آيدين وقته كله في وضع الزينة زين جدران البيت بالورق الملوّن والأعلام الصغيرة، وأخرج الزقاق من حالته البسيطة، ودرّجه بسلاسل المصابيح الملوّنة».[٣٦]

كما ترى، هذه الروايات صادقة ومليئة بالبساطة، وإلى جانب القضايا المعقدة والمدهشة التي سنناقشها أكثر، هناك حقائق بسيطة مفهومة تمامًا للقارئ، يذكر لشخصيات الرواية الولادة والزواج والطلاق والشيخوخة والموت.

تعبير الحزن

من سمات القصص في أسلوب الواقعية التعبير عن الحزن وجو مليء بالحزن. يصف عباس معروفي حالات الحزن بشكل جميل في الجمل التالية. والاختيار لكلمتَي "يتعذب" و"فزع" يدل على الحزن:

«كاد الليل ينزل، وأصبتُ بالفزع. تركته على ذلك الوضع في تلك الحفرة الصغيرة، ودفنته بالتراب بيدي. جمعت الأتربة كلها في الأنحاء، وحثوتُها على جسده ووجهه ورجليه، ثمّ مهلتُ التراب برجلي. كنتُ أعلم أنه يتعذب، وللحظة، توقفتُ عن عملي. قلبي لم يتحمّل، أرحتُ التراب من على وجهه، فوجدتُهُ يأكل التراب. ومن دون أن يطرف له جفن، كان ينظر وهو يلتهم. أردتُ أن أزيل التراب، وأرجعه لكنه كان ثقيلاً، ويتعذر الإمساك برجليه لم تكن يداي تُحكمان قبض أي موضع فيه. ومهما انحنيت لم أنجح ثقل ذلك الجسم العفن كان يقطع الأنفاس. قلتُ: "إلهي أنجدني لماذا يستعصي عملي، ولا يتقدّم؟". وظهر الأب أمام عيني من جديد بعظمته وجبروته. قلت: "أبي، انظر بأي حال صرت أترى، إنه إرتك؟".

قال الأب: "موتُ هذا نعمة".

أي واحد تقصد أبي؟

[36] معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٤٨

قالت الأم: "لا يمكن منازعة الله متى شاءت مشيئته سوف يأخذه". قال الأب: "متى، إذن؟ أنا مريض، قلبي يؤلمني»[٣٧]

لذلك يمكننا القول أن المؤلف لا ينسى حزن أهل المجتمع ويستغل هذا الموضوع. يشير إلى الحزن والألم ويعرف شدة الحزن لدرجة أنه يبدو أنه يمزق القلب، كما يصف الحزن بسبب فقدان وموت بعض الشخصيات.

التعبير عن الآلام والمشقات

يذكر مؤلف رواية "سيمفونية الموتى" معاناة الشخصيات في القصة بسبب الطقس البارد والجوع، وكانوا يبحثون عن مكان دافئ لصنع القهوة وتخفيف التعب، لكنهم لم ينجحوا:

«ويعرف أساطير مُبهرة لكنه بعد برهة قال: أخي يقال إن هذه الثلوج مليئة بالحجل. لو أحضرت خيشاً، لجمعت لك مائة مجلة.

قلت: "إنها لا تُثلج الآن، فصل الشتاء مازال بعيداً. كلا، ألا ترى المكان مليئاً بالحجل، فوق ذاك الجبل".

– "طيب، وإن يكن، ماذا تريد أن تفعل به؟".

قال: "لا أعلم". وتوقف يتأمّل الجبال في غروب الشمس وهي تتوشح بلون بنفسجي. كنتُ قد ضقت به ذرعاً والجوع قد نال مني. قلتُ: "لا تترثر، وانطلق، وإلا ضربت.....

فلا يتفوه بكلمة. يتبعني كطفل صغير. ولينا ظَهرَيْنا المقهى الطينية، وتركناها منكسرة كما كانت.

كان الجو حالكاً والشوق يشدّه إلى دفه المقهى قصدها مسح يديه ببعضهما، وأراد أن يضرب برجليه الأرض، وينفخ في كفَّيه. لكن ذلك كله لم يكن مجدياً. كان يجب أن يصل إلى هنالك، وينتشي بدف، الأجواء، حيث الغلاية وكأسا شاي، بجانبهما قطعنا سُكّر، يُنعشانه، ويزيلا تعبه. كان يرفع قَدَمَهُ، فتغوص مع كل خطوة. وقف خلف باب المقهى. وقال بهدوء: "يا للعجب!". كان الزجاج منكسراً والثلج قد زحف إلى وسط المقهى، لا غلاية ولا أريكة ولا شيء يدل على الحياة كانت أشبه ما تكون بمغسلة أموات مهجورة نسجت أكلات الجيف على جدرانها المنتنة أعشاشها. كانت

[37] معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٣٢١

الجدران مخططة بقطعة فحم. والجدار فوق مبسط المقهى قد سجه سواد الدخان حتى السقف في الجهة اليمنى منه.. عمّ القضاء ثقوب وانهيارات وتحت الغلاية جهاز عظمي لحيوان منزوع الرأس».[٣٨]

التعبير عن الحياة اليومية

في رواية "سيمفونية الموتى" يشير المؤلف إلى حياة أيدين اليومية، حيث أمضى كل وقته في القراءة والكتابة بحساسية كبيرة، ولم يلتفت لمحادثات من حوله وأحال كل شيء إلى القصيدة ولكي يثبت. كلماته تقتبس بيت شعري، شيئاً فشيئاً، طريقة أكله ونومه وقراءته وتحدثه وتصرفه، ولديه شخصية خاصة. انتشرت شهرته في المدينة. لدرجة أنه في سن الثانية والعشرين، لاحظ العديد من الفتيات والنساء.

«قال إياز: "يجب أن أفكر بالأمر".

بعد أيام، وفي ليلة متزيّنة ببدر مكتمل أضاء الأرض، هاجم ثلاثة عناصر من الأمن منزل الأستاذ ناصر دلخون واعتقلوه بتهمة تخريب عقول الشباب الغيور، وأرسلوه إلى طهران على ذمة التحقيق.

حصيلة ثلاث سنوات من الدراسة المستمرة، كانت ذاك التحول الذي طرأ على حياة آيدين والجميع كان عاقداً عليه الأمل نظم باللغة التركية عدة رباعيات وبضع غزليات، وعدداً من القصائد من شعر المزدوج وعشرات القطع، وربما المئات من قصائد الشعر الحر. كان البعض يظن أنه سرق هذه الأشعار من شخص أو مكان ما. قال أحد الأساتذة الرواد لو طفتُم أطراف أردبيل، لوجدتموها مليئة بمثل هذه الكتب العتيقة".

غير أن آيدين، الذي كان يصرف وقته كله في القراءة والكتابة بوسواس وتركيز عجيبين، ما كان يلتفت إلى هذا الكلام كان يحيل كل شيء إلى الشعر، وللتدليل على كلامه يستشهد ببيت شعري. وفي فترة قصيرة بات الجميع يعرف أن الشعر ينساب منه انسياباً. وبالتدريج، تغيرت طريقة أكله ونومه ومطالعته وحديثه وسلوكه كله، واتّخذت صبغة خاصة. وذاع صيته في المدينة. لدرجة أنه صار، في سنّ الثانية والعشرين، محط اهتمام فتيات ونساء كثيرات. لكن الجميع كان يحار لعدم وجود امرأة في حياة هذا الشاب حسن الطلعة رهيف الطبع. حتّى أمه أسرت هذا الأمر، بشكل من الأشكال إلى أرملة، تُسمّى فروزان: "ما إن تذكر له اسم المرأة، حتى يندفع قائلا: راحة العالمين».[٣٩]

---

[38]. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٥٠

[39]. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٧٠

لذلك، من خلال تناول الحياة اليومية لشخصيات الرواية، ومنهم عاشور ناجي، وخيزر، وسماحة، وزهيرة، يعبر المؤلف عن الحقائق المشتركة التي نتعامل معها في كل وقت وفي كل مكان، وبهذا يظهر البساطة. من اسلوب الواقعية.

العادات والتقاليد

احترام الأب هو نوع من العادات والتقاليد التي يقدمها المؤلف "عباس معروفي" بشكل جميل في الرواية حيث يستمع أيدين إلى كلمات والده باحترام.

«قالت الأم: "أجل، آيدين" وهي تغسل جوارب الوالد وأورهان في مغسلة الممر العلوي.

قال أورهان: لم تُصرّون؟ ليفعل ما يحلو له ليس بالغصب والقوة.

اندفعت آيدا: "ما دخلك أنت؟".

قالت الأم: "إنها محقة اهتم بأمورك فقط". في أثناء كلام الوالد كانت الأم تتدخل، وفي إحدى المرات، قالت: "آيدين فكر ملياً بالأمر".

كان الوالد بذلك المعطف الجلدي ذا أبهة وجلال مثل الوقت الذي كان يجلس على الأريكة الجلدية تخرج الكلمات من فمه مغلّفة بالقوّة والغرور الأبوي: "لأجل مَنْ قاسيتُ وعانيتُ هذه السنين كلها؟ ولأجل ماذا؟ معلوم من أجلكم، لكن، شرط ألا تمسوا شرفي أو تضروا بمصالحي. إذا كان هنالك احترام، فبسبب المال. ولهذا لسنا بحاجة إلى الآخرين بفضل هذه المؤهلات التي تمتلك، أريدك أن تصبح تاجراً من يوم غد. أتفهم. آيدين؟ تاجر". ثم انصرف إلى غرفته.

لم يستطع آيدين النظر في عيني والده، كان جالساً على الدرج، يُصغي إلى كلامه. لا يعرف هل كان خائفاً أم خجولاً؟. كان ثمة قوّة كامنة في تلك العينين من تحت تلك النظارات تُجبره، كما العادة، أن يكتفي بالنظر من الخلف فقط. حينما انصرف، أحسّ آيدين أن هناك كلاماً كثيراً يتعين قوله. كان يريد ألا يكون الأب متشدّداً إلى تلك الدرجة، وأن يُقنع بأورهان فقط. لكن في ذلك الممرّ شبه المظلم، وفجأة مع انصراف الوالد، خيم صمت، وخيل إلى آيدين كأن ساعة حائطية توقفت عن العمل، وهو مثل عقربها يذهب ويجي».[٤٠]

في هذا الجزء، من الرواية يشير المؤلف إلى العادات والتقاليد في الرواية ويذكر أن جلوس الغربان السوداء على أغصان الأشجار هي علامة مشؤومة وهذا من معتقدات الناس:

40. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٣١

«كان الأب يقول دوماً: " يجب على الإنسان أن يغتنم الفرص". لهذا السبب وضعت سريري في تلك الليلة بجانب الشباك، وأبحرت في السماء، وكأني بالنجوم قد تكاثرت ودخان المدفأة تمدّد ورسم في العلياء قوساً. ويقيناً أن الغربان السوداء جلست فوق الأغصان وهي تنعق: "ثلج ثلج".

ليلتها رأيتُ في المنام حديقة أشجارها ذهبية، وزقاقنا قد اتسع، ومصنع المراوح بسقفه الأحمر المنحدر قد خرج من تلك الهوة، ليتساوى مع الأرض. وأنا أدرس. ثمّ حلمت أنني مت. في الصباح، لما قصصت رؤيتي على أمي قالت: " ت: "أنت" طويل العمر، ولدي".

تضاعف سمك الثلج في البرتة. ما إن يضع قَدَمَهُ حتّى تغوص، لكن، في العمق تجمدت الثلوج القديمة، وغدت جليداً. كان يشعر وكأن قدميه حافيتان، ويحس بالألم في أعماق وجوده. لذلك، كان يخطو خطوات خفيفة. ورغم أنه طاف المدينة منذ الصباح بحثاً عن آيدين، وعبر الحديقة الوطنية والمقبرة القديمة، لكنه لم يعد الآن يحس بالتعب " لا يضيره سوى تجمد رجليه. كان ينادي من مكانه: "سوجي"، فيتلاشى صوته في الثلج ولا يتفشى. ومع ذلك يواصل الخطو.

ذات يوم.. أحضر الوالد عدداً من كتب آيدين إلى الغرفة، وأخذ بين الفينة والأخرى، يتصفّحها، ولا يفهم شيئاً مما يقرؤه. احتفظ بالكتب إلى أن جاء، يوماً، إياز الضابط قال جابر، شوشت بالي ها قد جئتُ.[٤١]

مرور الأمور وتغير الظروف

في الجمل التالية من رواية " سيمفونية الموتى"، يذكر المؤلف كيف نشأ أورهان عندما كان مبتهجًا عندما كان طفلاً ولكنه حزن عندما كبر.

«وأضحك أمه. قالت: "أنت ترى أن أورهان يشتغل في الدكان منذ سنتين لديه مال أكثر، ويكسب احترام الجميع، وهو أيضاً أكثر طراوة وبشاشة منك، لقد غدوت متجهما وحزيناً، لما كنت طفلاً كنت ناراً متأججة، ربما أنت لا تتذكر، كنت تقلب البيت على الرؤوس هل تذكر؟ كان صوتك وصراحك لا ينقطعان كنت شقياً. لكن، الآن... " ثم سكتت

كانت جدلنا شعرها المضفورتان متدليتين وباديتين من الجهتين ترسلهما إلى الأمام، وتشرع في فك الخصلات وعقدها تفتح ثلاث وتعيد ضفرها، من دون أن تنظر، تضفر وتلقها على يدها: "أنا أحفرك للذهاب لمساعدة الوالد حتّى يعلم

41. معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ٤٣

الجميع، منذ اللحظة، أنكما أخوان أنت وأورهان. مصير آيدا أن تتزوج وترحل، هذا إن وُجد مَنْ يأخذها بعلتها هذه. أما يُوسُف، فليس آدمياً. نصيبكما، أنتما الاثنان، متساو، وأنت الأكبر، ولا أريد أن يُهضم حقكَ".

قال آيدين: "حسن، سوف أذهب، لكن مؤقتاً، نزولاً عند رغبة قلبك فقط".

وبدءاً من اليوم التالي، شرع آيدين يذهب إلى الدكان في العصاري ويعود بالأماسي رفقة الوالد وأورهان. هناك، كان يشرف على دخول الزبائن وخروجهم، ويطالبهم بالتسديد، ويُنظف الأرضية، ويمسح الزجاج، ويملأ الأكياس بالبزر والفستق، ويُدوّن أسعار البضائع ونوعها، ويعلن التخفيضات والتنزيلات. عمل بإخلاص وضبط وإحكام حتّى، بات في ظرف شهرتن ماهراً وذا خبرة؛ حيث تمكّن من إدراج حساب الدفتر اليومي في السجل العام، وشراء البضاعة وحسابها بالمعداد جمعاً وطرحاً».[٤٢]

كما تشاهدون فإن المؤلفين يشيرون إلى قضايا مثل التغيير في الحالة والمكانة الاجتماعية لسامي ووالده، وقضايا من هذا النوع تتناول مرور الأشياء وتغير الظروف في الرواية وخطورة ذلك. جوًا، وخلق وضعًا متنوعًا للقارئ وجعل الرواية تخرجها من الحالة الموحدة.

الحب

على عكس الرومانسية، لا تتعامل الواقعية مع الحب فحسب، بل الحب هو أيضًا موضوع مثل الموضوعات الأخرى.

في هذا الجزء من رواية «سيمفونية الموتى"، يذكر أن "آبادايي" رأى "آيدا" للمرة الأولى، الأمر الذي جعل أبادايي يقع في حب آيدا ويظهر عاطفته وحبه، فهو يذهب باستمرار إلى منزلها، الأمر الذي أغضب والد آيدا.

«لما كان يركب السيارة، لمح من نافذة الغرفة السفلية فتاة حوراء العينين وسوداء الشعر، انزوت خلف، باب تمعن النظر من دون أن يطرف لها جفن. ارتج قلب آبادايي، واهتز قلب آيدا.

ظهر الرجل ثانية بعد شهر ورجع من حيث أتى من غير أن يرى آيدا. استمر هذا التردّد أربعة عشر شهراً، وكل مرة كان يُحضر هدية لأيدا مرة قطعة قماش ومرة ملابس، وأخرى حذاء. وفي إحدى المرات، أهدى لها عقداً لولبياً من ذهب ذات مرة، قال الوالد لآبادايي إنه سيبلغ الشرطة إذا استمر تردّده هذا، فأجابه آبادايي ألا مشكلة، أقصى ما في الأمر

[42] معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٢٧

أنه سيقضي ستة أشهر في السجن، وبعد أن يخرج سيعاود تردّده إلى البيت. عجز الوالد عن فعل شيء، ولم يستطع أن يحول دون مجيئه. كان يتفاوض مع الأم لساعات طويلة، ولا يصل إلى نتيجة. يقطع ويمانع. كان يقول: "الوقح الجلة أبو الكارفات يخال أنني سأنخدع بسيارته".

قالت الأم: "لا تدر" ظهرك لنصيب ابنتك. ماذا تريد أن تصنع بها؟". – سيكون ما قلته لن أسلّم جثة ابنتي لهذا الرجل.

لكن أبدا العاشقة التي كانت على علاقة خفية بآباداني، لم تجرؤ على أن تنبس بكلمة. تندّت في ركن البيت، وواصلت حياتها العادية كما اليكم تغسل الغسيل، وتطبخ، الطبيخ، وتكنس، وأحياناً حين تحس تترنّم بشيء. لكن الأسوأ من هذا كله أن آلام المفاصل زادتها هرالاً وكآبة.»[٤٣]

كما ذكرنا، الواقعية لا تتعامل مع قضية الحب؛ لكن لا يمكن القول إنه لا علاقة لهذه القضية، لكن الحب لا يعالج على أنه القضية الرئيسية بل إلى جانب قضايا أخرى، كما يذكر السعداوي ومعروفي اللحظات الرومانسية بين ساهر وزينب وأباداني آيدا في هذه الرواية.

يبحث المؤلفون في موضوع الحب بموضوعية وعلى الأرض ولا يلتفتون للحب السماوي.

الخاتمة:

بناءً على ما قيل، عباس المعروفي كاتب ملتزم وعاطفي تجاه الوضع الاجتماعي من حوله. يهتم للوضع الحالي في المجتمع والمشاكل الاجتماعية. كتب في رواية" سيمفونية الموتى" من البداية إلى النهاية، وصف لصراعات الرجال في أحياء مدينته، وقصة الهزائم والانتصارات، والحب، والحياة اليومية.

في هذه الرواية يصف الكاتب، التفاصيل، بما في ذلك التفاصيل الدقيقة للحظات والمشاهد، الأماكن والمظهر والخصائص الأخلاقية لشخصيات القصة المختلفة وقضايا مثل الولادة والزواج والموت والحرب والصراع، والنهب، والقتل، والمجاعة، والانتحار، والفجوة الطبقية، والفقر، والتمييز، والعدالة، والاستغلال، والسمسرة، والقمار، وغيرها من الحقائق يتعامل مع الحياة العادية المرّة والحلوة لأهل أرضه، وفي خلفية الرواية يتعامل مع حزن الناس ومعاناتهم ومصاعبهم.

[43] معروفي، *سيمفونية الموتى*: ص ١٤٣

أن سبب أشياء كثيرة يكمن في الطبقات الخفية للحياة العادية واليومية وبالتالي معها البحث عن جذر الأشياء وراء حوادث الحياة اليومية، يكتشف أسباب الأشياء المختلفة.

يكره عباس المعروفي التمييز والفجوة الطبقية من البداية إلى النهاية تذكر الرواية دائمًا الرغبة في تحقيق العدالة في النهاية، لم يكن قادرًا على فهم أغاني الدير المجهولة إلا بتحقيق العدالة؛ الأغاني التي لا أحد من الشخصيات قبله.

المصادر والمراجع

١. ابن منظور، جمال الدين. (٢٠٠٥م). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

٢. إسماعيل، عزالدين. (٢٠٠٢م). *الأدب وفنونه، "دراسة ونقد"*. القاهرة: دار الفكر العربي للطباعة والنشر.

٣. الأصفر، عبدالرزاق. (١٩٩٩م). *المذاهب الأدبية والفنية لدى الغرب-مع ترجمات ونصوص لأهم أعلامها*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

٤. الأعرج، واسيني. (١٩٨٥م). *النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية*. دمشق: إتحاد الكتاب العرب.

٥. آلان، روجن. (١٩٩٧م). *الرواية العربية*. ترجمة: حصة إبراهيم منيف. الكويت: المجلس الأعلى للثقافة.

٦. الأيوبي، ياسين. (٢٠٠١م). *واقعية الأدب، رواية "آنا كارنينا" لتولستوي*. بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.

٧. بدر، عبد المحسن طه. (١٩٧٦م). *تطور الرواية العربية الحديثة*. القاهرة: دارالمعارف.

٨. براديري، أحمد. (١٩٨٩م). *الرواية الإنسانية وتأثيرها عند الروائيين العرب*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

٩. بطرس، أنطونيوس. (٢٠٠٥م). *الأدب: تعريفه، أنواعه، مذاهبه*. لبنان: المؤسسة الحديثة للكتاب.

١٠. بوشعير، الرشيد. (١٩٩٦م). *الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأوروبية*. دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع.

١١. الجوهري. اسماعيل. (١٩٨٩م). *تاج اللغة العربي الحديث*. بيروت لبنان: دار العلم للملايين.

١٢. داد، سيما. (١٣٨٣م). *فرهنگ اصطلاحات ادبی، واژه نامه ی مفاهیم واصطلاحات ادبی فارسی واروپایی. (تطبیقی وتوضیحی)*. تهران: مروارید.

١٣. راغب، نبيل. (٢٠٠٣م). *موسوعة النظريات الأدبية*. مصر: الشركة المصرية العالمية للنشر.

١٤. الرويلي، ميجان، وسعد البازعي. *دليل النقد الأدبي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

١٥. زغلول، سلام. (١٩٨٨م). *المسرح والمجتمع في مائة عام*. مصر: منشأة المعارف بالإسكندرية.

١٦. عتيق، عبدالعزيز. (١٩٧٢م). *في النقد الأدبي*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

١٧. العسيلي، ثريا. (١٩٩٥م). *دراسة في أدب عبد الرحمن الشرقاوي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٨. علي، عبدالرحمن. (١٤٢٦م). *النقد الأدبي بين الحداثة والتقليد*. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

١٩. عنان، ليلى. (د. ت). *الواقعية في الأدب الفرنسي*. القاهرة كورنيش النيل: دار المعارف.

٢٠. الفاخوري، حنا. (١٣٨٣م). *تاريخ الأدب العربي*. تهران: نشر توس.

٢١. فضل، صلاح. (١٩٩٨م). *منهج الواقعية في الإبداع الأدبي*. القاهرة: مؤسسة مختار.

٢٢. قاسم، سيزا. (٢٠٠٤م). *بناء الرواية*. القاهرة: مكتبة الأسرة.

٢٣. كحوال، محفوظ. (٢٠٠٧م). *المذاهب الأدبية*. الجزائر: دار نوميديا للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٤. الكردي، عبدالرحيم. (٢٠٠٦م). *السرد في الرواية المعاصرة*. القاهرة: مكتبة الآداب.

٢٥. گرانت، ايميان. (١٣٧٩م). *رئاليسم*. ترجمه حسن افشار. تهران: نشر مركز.

٢٦. لوكاچ، گئورگ. (١٣٨٠م). *جامعه شناسی رمان*. ترجمه ی محمّدجعفر پوينده. تهران: چشم.

٢٧. المرعي، فؤاد.. (١٩٧٨م). *مدخل إلى الآداب الأوربية*. سوريا: منشورات جامعة حلب.

٢٨. مريدن، عزيزة.. (١٩٨٠م). *القصة والرواية*. بيروت: دار الفكر.

٢٩. مصايف، محمّد. (١٩٤٨م). *النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي*. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

٣٠. مصطفى، إبراهيم، حامد عبد القادر، أحمد حسن الزيات، ومحمّد علي النجار. (د. ت). *المعجم الوسيط*. إسطنبول: المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

٣١. معروفي، عباس. (٢٠١٨م). *سيمفونية الموتى*. ترجمة: أحمد موسى. ايطاليا: منشورات المتوسط.

٣٢. هلال، محمّد غنيمي. (٢٠٠٤م). *النقد الأدبي*. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣٣. هلال، محمّد. (١٩٨٧م). *النقد الأدبي الحديث*. بيروت: دارالعودة.

٣٤. هيكل، احمد. (١٩٩٤م). *تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع إلى قيام الحرب الكبرى الثانية*. القاهرة: دار المعارف.